دارينا الجندي: خيبة، يأس، مرارة...

"بنت أصل" عرض مونودرامي في مسرح مونو

امرأة تروي ذاكرة الحرب من أعلى قمة الخيبة

"بالأول كنت نام معك هلّق صرت نام ضدّك" تقول الزوجة "بنت الأصل" لزوجها الذي طلّقها من أجل بنت أصل أخرى، بعدما أخذ منها كل ما عندها ولها ومنها، أي الجاه العائلي والعاطفة البريئة والجسد الخام والأخ المثالي والإبنة الناعمة، الى قولها الجمل الوفيرة التي تأتي الى لسانها بحسب توارد الأفكار وفوران ردود الفعل، لحظة وصولها الى غرفة الفندق وحدها تقريباً. فالزوج في حفل عرسه، والخادم الذي يحمل اغراضها بالكاد حاضر، وتحكي ولا تتوقف عن الكلام، كأنها ملأى بأكثر من طاقتها على الاحتمال، وكأنها بلغت الحدود القصوى للخيبة واليأس وانسداد الأفق، أي للنقطة الصفر التي لا شيء بعدها ولا رجوع منها.

و"بنت أصل"(*) عنوان العرض المسرحي المبرمج اليوم الى 7 كانون الثاني الجاري، في مسرح مونو، حي اليسوعية، وهو يدور ظاهرياً على مرويات مرّة لامرأة مهجورة بعد حب دفعت من أجله اثمن ما لديها ولم يبق منه سوى الذكريات الصفراء، فركائز بنيته الفعلية تغرف عناصرها من زمن مرّ ولا يزال في الضمائر، كأنه يغيب ليعود أقسى حضوراً مما كان، ومن دون ضعف أو بهتان، أو حتى تجاهل تفاصيل صغيرة، أي من أزمنة سكنتها حروب لم تبق أحداً في ذاته، بل هجّرت الناس من ذواتهم من الآخرين. والزوجة تختصر في ساعة من البوح والصراخ والندم والمراجعات المرّة التي تشي مراراً برغبات قصوى بالقتل، هذا العالم الذي كأنه خسر نفسه لحظة تلطّخه الدموي بحروب عبرت في داخل كل ناسها ولم تترك فيهم سوى رمادها.

* * *

في ركيزة هذا العرض يطل نص ذكي مقتصر الأدوات، مكتنز المواد وذو مخزون روائي خصب وقريب وفاعل، ولا يبالغ مؤلفه جاد الحاج في رسم البورتريه الدرامي للشخصية النسائية التي أوكل اليها قول ما يرغب في إيصاله الى الآخرين عن حرب يقول انها توقفت من دون أن يقطف مجرموها وضحاياها الامثولات التي يفترض ان تعلمهم كيف الخلاص من الوقوع فيها ثانية. ولبلوغ هدفه يربط جاد الحاج كلامه عن الحرب بكلام عن حب اشتعل في قلب فتاة بريئة فتاة واجهت "العائلة لتتزوج بحبيب القلب، وهي الآن، وقد مرت الحرب عليها، في غرفة فندق وحيدة، مهجورة، مطلقة، وحضرت الى هنا لترافق ولديها الى عرس "مطلقها" من فتاة ستقدم اليه المكاسب التي لم تبق زوجته الأولى قادرة على منحه اياها.

يضجّ كلام الزوجة (أداء دارينا الجندي) بالمرويات المستمدة في لباقة قصوى من المخزون الاخباري المتداول الى اليوم – ربما لقربه منّا – على ألسنة اللبنانيين، وإن حكى جاد الحاج فمن خلال معجم شائع ورئيسي من المرويات المعقودة في آن واحد، على التفاصيل العائلية والفردية الحميمة، وعلى أخرى عامة وميليشياوية وخاصة بالأجواء البشعة الأكولة التي جعلت من محاربين حلموا بعالم أبيض أسرى دوامة من الجرائم وأعمال العهر، مما يوصل صانعيها وضحاياهم الى أسفل السلّم الانساني، ويتحول الزوج من مقاتل الى شبه سفاح ومهرّب مسكون بهاجس المال والسلطة، الى متاجر بكل ما عنده لتحقيق طموحاته، حتى على "جسد زوجته" وشرفه كزوج وأب.

ويزاوج النص الدرامي بين هذين العالمين مركزاً على تفاعل أثرهما في الذات الأنثوي لزوجة عرفت الصدمات الوجودية الكبيرة، وكل أنواع العطاء والتضحية ولم تحصد من حبها سوى مرارة الخيبة ويأس الابنة والشقيقة والأم والعشيقة، لتنتهي وجهاً لوجه مع فشلها في غرفة فندق، خادم مصدوم مما يسمعه ومما يشعر هو به اذ فقد كذلك في الحرب كل عائلته على يد من تحدثه هي "عنهم". وتتصرف الزوجة مع الخادم كأنه في الغرفة لملء فراغ الغائبين. ويذهب بها الخيال الى حد توجهها الى الخادم كأنه أخوها فارس الذي "أعطته لزوجها" كما تقول، حين وضعت حقيبة المتفجرات في مكان موجوداً فيه لاتهام زوجها بالمنكرات. "وكما فخخناهم فخخونا" تقول الزوجة بلوعة أمّ رأت ابنتها تتحول الى شيء نباتي بين يديها.

* * *

وتجتهد دارينا الجندي، رغم الكم العريض من الكلام في نص جاد الحاج للحفاظ على الحرارة العليا التي من دونها يفقد العرض شحنته الصدامية وزخمه الدرامي، أي يخسر طاقته على جذب الحضور الى مرويات تبدو، لوفرة ترددها على نحو أو آخر، أليفة وفي كل أذن وعين. وتؤدي دارينا الجندي من داخل ذات انثوية شبه مجروحة في عمق ذاكرتها تلك الشخصية المرسومة بعدة ألوان والمجدولة "على عدة طوق" والتي لذوبان غرائزها ومشاعرها وذكرياتها في بعضها البعض، تبدو كالقنبلة البشرية تكاد تنفجر. وجليّ كلما تقدّم السرد الدرامي وتكشّفت للحضور الملامح المخفية للنيات واتضحت المعالم. وكم أن اليأس المعقود على خيبات لا تحصى يفعل سلباً في عقل "الزوجة" الذي يفقد للحظة صلته بالواقع (التصرف مع الخادم على أنه أخوها فارس)، وجليّ ان النهاية إما جنون أو انتحار، وان "العلبة" على طاولة الغرفة هي الحل لاحتوائها ربما على قنبلة نعلم خلال العرض انها اضحت ماهرة في صنعها.

وطرية دارينا الجندي وتنحو في الوقت عينه بكل برودة الى التعبير الشرس والأجواء القاتلة. وللحظات تبدو كمن لم يبق انساناً، أو كأنها لم تبق تلك الأنثى الحنون. ولشخصيتها الوجه البارد كأنها خلقت لتكون "ابنة اصل" أي لتعطي الأوامر وتوزّع العنف وتحكم بفعل مكانة والدها قبل أن تتسلّط الى جانب زوجها. ولحضورها كممثلة نقاط ضعف مكرّرة، فكأنها غير مؤهلة للتعبير بجسدها خاصة عن العنف الجسدي والشراسة الغرائزية ذات الملامح الذكورية وفي النص لحظات عديدة يفترض ان ترفع الممثلة من خشونتها لتلتحم اكثر بشخصية الزوجة أيام مساهمتها كشريكة كاملة في مشاريع زوجها الميليشياوية. وعلى حافة الأداء العقلاني الذي يكاد يخفف من انثوية الخيبات، لكن دارينا الجندي تبدو انثى حتى اذا استنفرت كل بواطنها الشرسة، ولا تنحاز سوى الى ذاتها وكأنها عملياً تلك الزوجة المهجورة التي رسم ملامحها جاد الحاج، ويطل قريباً منها بطرس حنا في دور الخادم في غير محلّه، ومن دون فائدة، في عرض معقود بنيةً على مونودراما يرتكز محتواها على مرويات الزوجة التي تكتفي بما فيها لصنع الحدث المسرحي ومن ثم لاقفاله. ومراراً بدا لي كراقص باليه، حاضر هنا لتنتصر النجمة وتشعّ.

"بنت أصل"، نص جاد الحاج، اخراج غبريال يمين...

ويتلذذ المخرج غبريال يمين باضافة القليل جداً لمنح العمل الشكل المسرحي، وحسناً فعل بالوقوف في ظلال نص يطفو على شبه مونولوغ مقفل على مروياته، وممثلة غاصت في جروحها حتى بدت كمن يروي ذاته، ويكتفي غبريال يمين بالاشارات المفيدة جداً لإحاطة الزوجة والخادم بالاطار الحيوي والبسيط وشبه المتقشف، الخاص بنص وأداء يحتلان معاً الواجهة الميلودرامية لعرض يكاد يدور كدعوة ملحاحة الى بكاء من دون دموع. وينادي المخرج على أدوات وظيفية، بيد أنه يترك في المقابل لستارة في عمق منصته أمر استقبال بعض المناظر المصورة الحركية التي تقول بالصورة ما يشبه الصدى السينمائي لنص لا يترك دوراً للصمت. ورغم ذلك ينجح غبريال يمين في ادخال الصمت بين الحين والآخر في تجاعيد عرض مرصوص الكلام، مضغوط المعاني، ويكاد يبدو ثرثاراً لولا نباهة مضيئة في قول الأشياء وفي اختيار المرويات عن حرب قيل فيها كل الكلام والآراء والمعاني.

ولساعة، وبين التصاق بكلام كأننا نحن نقوله، وامام منصة تبدو كمختصر قريب من ذكريات في ناس تسكنهم، ومع مؤدية كأنها خارجة لتوها من مرارة الأيام، استمعنا وتذكّرنا وخرجنا صامتين.

نزيه خاطر

فاصلة

كأس للهيب الذاكرة

بعد ساعة ونصف ساعة من الغرق في ذاكرة الحرب السوداء وذاك الشعور التدريجي بالاختناق ونحن في عتمة مقاعدنا نطالب سراً بالمزيد من تلك الاصابع الضاغطة على اعناقنا كأن لا شفاء من تلك السنين البشعة سوى استذكارها برائحتها النتنة وتطرفها الاقصى، كنت احلم بلحظة هدوء وراحة نفسية حالما تتضاءل الاضواء عن دارينا الجندي، امرأة المسرحية، وتصمت عن الكلام المباح، الشرس، الواشي ضد الموت والقتل والفظاعة. كان صدري المختنق في حاجة الى هواء بعد ان ينسدل الليل على حكاية جاد الحاج التي كتبها برحم امرأة وولع امرأة وكراهية امرأة، وصمم اخراجها غبريال يمين على مسرح مونو.

جمهور مسرح مونو الكثيف جدا في تلك الليلة العاصفة، الماطرة، كان محبوس النَفَس كي لا تفوته كلمة، عبارة، تعبير. كان مشدود النظر والسمع الى دقات قلبها السريعة، الى بوحها الشرس، القاتل، الذي كانت تدحرجه على ذكرياتنا كبحر الى اسفل المشاعر.

القلوب كانت على بعضها. اتفقنا حفنة من الاصحاب ان نرفّه عن سواد نفوسنا في حانة من الحوانيت القريبة من المسرح، الى كأس من الويسكي وقطعة بيتزا، فيغدو الكلام عن المسرحية دواء، والآراء المتبادلة حول مقدرة دارينا الجندي في تحمل دور مماثل، دفئاً. فالكلام عن الموهبة الفنية يعزم الدراما ويقلل من قسوتها. كنا فعلا ممتلئين بقوة الكلمات ولكماتها السوداء، بين مد وجزر من انجذاب ونفور.

امام كأس الويسكي قررنا ان نزيح جبل الاحداث المتربص فينا. غير ان ما عشناه داخل الحانة من موسيقى صاخبة تصم الآذان وتكمّ الافواه كان اقوى دوياً من قنابل الحرب. رجونا مرات ان يخفف الصوت كي يتسنى لنا الاستماع بعضنا الى البعض الآخر، وكي يكون لمذاق الكأس فعل المسكّن الذي تمنيناه. لكن انظار الشباب كانت تتفرس فينا في استغراب ولا تستجيب، كأن الموسيقى لو انخفض منسوبها مات الشباب عطشاً وجفت خلاياهم التي اعتادت المبالغات في كل شيء، السرعة والصخب والزمامير، ضجراً.

وددت لو احمل كأسي واعود الى مسرح مونو لاستعيد مسرح الحرب الذي إن اثمرت نتائجه فقنابل موسيقية وشظايا ايقاعية تخدش وتثقب، وجنون واستخفاف يشبهان الانتحار.

موسيقى الحانة صبت اسمنتاً على افواهنا، وجعلت كلاً منا كأنه معزول عن الآخر يلوك غثياناً على جرعات سامة من كأس ويسكي.

مي منسى